# الحث على سلامة الصدر

تأليف

علي بن محمد بن سليمان الدهامي

دار الوطن

الرياض - شارع المعذر - ص.ب: ٣٣١٠

☎ ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس: ٤٧٦٤٦٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

# الحث على سلامة الصدر

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ

توزيــــع:
مؤسسة الجريسي للتوزيع والاعلان
ص.ب : ١٤٠٥ الرياض ١١٤٣١
☎ ٤٠٢٢٥٦٤ ـ فاكس ٤٠٢٣٠٧٦

# مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

«فاعلموا يا إخواني وفقنا الله وإياكم للسداد والائتلاف وعصمنا وإياكم من الشتات والاختلاف أن الله عز وجل قد أعلمنا اختلاف الأمم الماضين قبلنا وأنهم تفرقوا واختلفوا فتفرقت بهم الطرق حتى صار بهم الاختلاف إلى الافتراء على الله عز وجل والكذب عليه والتحريف لكتابه والتعطيل لأحكامه والتعدي لحدوده، وأعلمنا تعالى أن السبب الذي أخرجهم إلى الفرقة بعد

الألفة، والاختلاف بعد الائتلاف هو شدة الحسد من بعضهم لبعض، وبغي بعضهم على بعض، فأخرجهم ذلك إلى الجحود بالحق بعد معرفته، وردهم البيان الواضح بعد صحته، وكل ذلك وجميعه قد قصه الله عز وجل علينا وأوعز فيه إلينا وحذرنا من مواقعته وخوفنا من ملابسته. ولقد رأينا ذلك في كثير من أهل عصرنا وطوائف ممن يدعي أنه من أهل ملتنا»(١).

وإن المتأمل لحال هذه الأمة الآن يرى فيها كثرة الاختلاف والتفرق حتى أصبح بأسها الذي كان من الواجب أن يكون على أعدائها أصبح بينها ـ في أفرادها وجماعاتها ـ حتى بدأت تسمع من يكيل السب والشتم لأهل العلم والدعاة الصادقين، وأصبحنا كما وصف ابن عبدالبر رحمه الله أهل زمانه حين قال: «والله لقد تجاوز الناس الحد في الغيبة والذم فلم يقنعوا بذم العامة دون

(١) الإبانة لابن بطة، ١/ ٢٧٠.

الخاصة، ولا يذم الجهال دون العلماء»[1] والمصيبة تكبر حينما يكون هذا صادرٌ من بعض من ينتسبون إلى العلم والدعوة.

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة
على المرء من وقع الحسام المهند

وهذا والله منذر بسيل عذاب قد انعقد غمامه، ومؤذن بليل بلاءٍ قد أدلهم ظلامه.

أرى خلل الرماد وميض جمر
ويوشك أن يكون له ضرام
فإن النار بالعودين تذكى
وإن الحرب أولها الكلام
فإن لم يطفها عقلاء قوم
يكون وقودها جثث وهام

---

(١) جامع بيان العلم وفضله، ص ٥١٨.

إن انتصار هذا الدين وظهوره على الدين كلّه أمر تهفوا إليه النفوس المؤمنة وتتطلع إليه وتتمناه وترجوه، ولكن لا سبيل إلى ذلك إلا بتآلف القلوب وسلامة الصدور من كل ما يعكر صفاء الأخوة وصدق المحبة بين المؤمنين لأن من صفات أهل الإيمان أنهم كما قال عز وجل: ﴿**أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين**﴾ [المائدة: ٥٤].

هذه صفات المؤمنين الكُمَّل أن يكون أحدهم متواضعاً لأخيه ووليه متعززاً على خصمه وعدوه كما قال تعالى: ﴿**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم**﴾ [الفتح: ٢٩][١] ولقد وعد الله بتغيير الحال ولكن بشرط أن نغير ما في النفوس، قال ﴿**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾[الرعد: ١١].

وهذه الرسالة التي بين يديك والتي أسميتها:

---

(١) تفسير ابن كثير، ٢/ ٧٠.

(الحث على سلامة الصدر) مشاركة في سبيل الاصلاح بتغيير ما في النفوس إلى ما يرضي الله، ولم تكن لتخرج لولا أني رأيت مسيس الحاجة لمثلها وعدم وجود مؤلف مفرد في موضوعها ـ على حسب علمي ـ والله يعلم ما قصدت وما بجمعها وتأليفها أردت، فهو عند لسان كل إنسان وقلبه، وهو المطلع على نيته وكسبه، أسأله التوفيق والسداد.

وكتبه

علي بن محمد بن سليمان الدهامي

الرس، ص. ب (١٩٧)

## سلامـــة القلـــب

«القلب السليم هو الذين سلم من الشرك والغل والحقـد والحسد والشح والكبر وحب الدنيا والرئاسة، فسلم من كل آفة تبعده عن الله، وسلم من كل شبهة تعارض خبره، ومن كل شهوة تعارض أمره، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده، وسلم من كل قاطع يقطع عن الله»[1].

فبعض النـاس يظن أن سلامة القلب تكمن في سهـولـة غشـــه وخداعه والضحك عليه وعدم معرفته الخير من الشر، وليس الأمر كذلك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «القلب السليم المحمود هو الذي يريد الخير لا الشـر، وكمـال ذلـك بأن يعرف الخير

---

(١) الجواب الكافي، ١٢٧.

والشر، فأما من لا يعرف الشر فذاك نقص فيه لا يمدح به»[1].

ويزيد تلميذه ابن القيم رحمه الله هذه المسألة إيضاحاً فيقول: «الفرق بين سلامة القلب والبله والتغفل أن سلامة القلب تكون من عدم إرادة الشر بعد معرفته فيسلم قلبه من إرادته وقصده لا من معرفته والعلم به، وهذا بخلاف البله والغفلة، فإنها جهل وقلة معرفة، وهذا لا يحمد إذ هو نقص، وإنما يحمد الناس من هو كذلك لسلامتهم منه.

والكمال أن يكون القلب عارفاً بتفاصيل الشر سليماً من إرادته، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لست بخَب ولا يخدعني الخَبّ، وكان عمر أعقل من أن يُخْدَعْ وأورع من أن يَخْدَعْ، وقال تعالى: ﴿**يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم**﴾

---

(١) مجموع الفتاوى، ١٠/ ٣٠٢.

[الشعـراء: ٨٩]، فهـذا هو السليم من الآفات التي تعتري القلوب المريضة من مرض الشبهة التي توجب اتباع الظن، ومرض الشهوة التي توجب اتباع ما تهوى الأنفس، فالقلب السليم الذي سلم من هذا وهذا»[1].

---

(١) الروح، ٢٢٠.

## سلامة الصدر في الإسلام

لقد جاء رسولنا ﷺ على حين فترة من الرسل في مجتمع غلبت عليه العداوة والبغضاء والشحناء، ولم يبق فيه إلا أخوة المادة والمصلحة. ذكر ابن إسحاق: أنَّ النبي ﷺ لما كلّم منْ كَلَّم من الخزرج في الموسم وعرض عليهم الإسلام فقبلوا قالوا: «إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك»[1]. وفعلاً جمع الله به القلوب حتى قال مرة عليه الصلاة والسلام: «يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي»[2]، قال تعالى: ﴿**واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً**﴾

---

(١) سيرة ابن هشام، ١/ ٤٢٩.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

[آل عمران: ١٠٣].

فالله عز وجل أرسل رسوله في هذا المجتمع هادياً ومبشراً ونذيراً، وجعل من مهمات رسالته تزكية النفوس وتربيتها. قال تعالى: ﴿**هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**﴾ [الجمعة: ٢]. فأدى النبي عليه الصلاة والسلام هذه الأمانة بتأييد وإعانة من الله عز وجل، قال تعالى: ﴿**هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم**﴾ [الأنفال: ٦٣].

لقد حرص الإسلام حرصاً شديداً على أن تكون هذه الأمة أمة واحدة في قلبها وقالبها ليس بين أفرادها إلا المحبة والإخاء، والتناصح البَنَّاء الذي يكون فيه إصلاح الخطأ مع صفاء القلوب وتآلفها دون الوقوع في أغلال الغل ومصائد الشيطان الأخرى من التباغض

والتحاسد، ثم التدابر والتقاطع والهجر، قال عليه الصلاة والسلام: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخواناً ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»[1]، وقال عليه الصلاة والسلام: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه»[2]، وقال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[3]، وسلامة الصدر وصلاح ذات البين أمر من لوازم تقوى الله، ولهذا قرن الله عز وجل بينهما في قوله: ﴿**فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم**﴾ [الأنفال: ١].

قال ابن عباس رضي الله عنه: «هذا تحريج من الله ورسوله أن يتقوا ويصلحوا ذات بينهم»[4]. وقد أخبر

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) تفسير ابن كثير، ٢/٢٨٥.

النبي ﷺ أن دخول الجنة لا يكون إلا بمحبة المؤمنين فقال: «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[1]، فالتحابُّ نابع من الإيمان الصادق، وبالتحاب يكون كمال الإيمان، ولما سئل ﷺ عن أفضل الناس عد من الصفات التي تؤهل العبد لأن يكون كذلك سلامة الصدر، ففي حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: أي الناس أفضل؟ قال: «كل مخموم القلب صدوق اللسان»، قالوا: صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب؟ قال: «هو التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد»[2]، فبدأ عليه الصلاة والسلام بتقوى القلب التي من ثمراتها نقاوة القلب ثم سلامته من الإثم والبغي والغل والحسد، وهذه من صفات القلب السليم الذي لا ينجو إلا من

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح ابن ماجه، رقم ٣٣٩٧.

أتى الله به، قال تعالى حاكياً عن الخليل عليه الصلاة والسلام أنه قال: ﴿**ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم**﴾ [الشعراء: ٨٩].

بل إنه عليه الصلاة والسلام جعل درجة صلاح ذات البين وإصلاحها أفضل من درجة نوافل الصلاة والصيام والصدقة فقال: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى. قال: إصلاح ذات البين»[1]، وهكذا تجد التأكيد على هذه القضية الخطيرة.

حتّى في أدق الأمور التي قد يدخل الشيطان منها لإيغار الصدور تجد أن الله عز وجل يوجه المؤمنين لما فيه الخير لهم والسلامة لصدورهم كما في قوله تعالى: ﴿**وإذا قيل لكم ارجعوا فارجعوا**﴾ [النور: ٢٨].

---

(١) صحيح أبي داود، ٤١١١.

فإنـه قال بعدها ﴿هو أزكى لكم﴾ تعزية وتسلية حتى يرجـع المؤمن ونفسـه راضية عن أخيه المؤمن، فالرجوع أطيب له لما فيه من سلامة الصدور»[1] سواء للزائـر أو المزور، إننا لا يمكن أن نمتثل قول النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[2] إلا إذا سلمت صدورنا تجاه كل أخ مسلم، قال ابن رجب رحمه الله: (وهذا الحديث يدل على أن المؤمن يسره ما يسر أخاه المؤمن ويريد لأخيه المؤمن ما يريد لنفسـه من الخير وهذا إنما يأتي من كمال سلامة الصدر من الغش والغل والحسد)[3].

وسلامة الصدر نعمة من النعم التي توهب لأهل الجنـة حينمـا يدخلونها، قال تعالى: ﴿ونزعنا ما في صدورهـم من غل إخـوانـاً على سرر متقـابلين﴾

---

(١) الكشاف، ٣/٧٠.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) جامع العلوم والحكم، ١/٣٠٦.

[الحجر: ٤٧]، وقال: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار﴾ [الأعراف: ٤٣].

فأهل الجنَّة لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشياً»(١) فأصل الإحساس بالغل ينزع من صدورهم ولا تكون إلا الأخوة الصافية، فمن كانت هذه الخصلة فيه في الدنيا فإنها من المبشرات له بأن يكون من أهلها يوم القيامة»(٢).

إن سلامة الصدر راحة في الدنيا وغنيمة في الآخرة»(٣) وأي لذة ونعيم في الدنيا أطيب من برد

---

(١) رواه البخاري.

(٢) في ظلال القرآن «بتصرف» ٤/٢١٤٥.

(٣) قال ابن حزم ـ رحمه الله ـ: رأيت أكثر الناس ـ إلا من عصم الله وقليل ما هم ـ يتعجلون الشقاء والهم والتعب لأنفسهم في الدنيا ويحتقبون عظيم الإثم الموجب للنار في الآخرة بما لا يحظون معه بنفع أصلاً، من نيات خبيثة يضبون عليها من تمنى

القلب وسلامة الصدر ومعرفة الرب تعالى ومحبته والعمل على موافقته؟ وهل العيش في الحقيقة إلا عيش القلب السليم؟»[1] قال قاسم الجوعي: «أفضل العبادة مكابدة الليل وأفضل طريق الجنة سلامة الصدر»[2]، قال السقطي رحمه الله: «من أجلِّ أخلاق الأبرار سلامة الصدر للإخوان والنصيحة لهم»[3]. وسلامة الصدر

---

= الغلاء المهلك للناس وللصغار، ومن لا ذنب له، وتمنى أشد البلاء لمن يكرهونه، وقد علموا يقيناً أن تلك النيات الفاسدة لا تعجل لهم شيئاً مما يتمنونه أو يوجب كونه وأنهم لو صفَّوا نياتهم وحسنوها لتعجلوا الراحة لأنفسهم وتفرغوا بذلك لمصالح أمورهم، ولاقتنوا بذلك عظيم الأجر في المعاد من غير أن يؤخر ذلك شيئاً مما يريدونه أو يمنع كونه، فأي غبن أعظم من هذه الحال التي نبهنا عليها؟ وأي سعد أعظم من الحال التي دعونا إليها» مداواة النفوس ٦٠.

(١) الجواب الكافي، ١٢٧.

(٢) بستان العارفين، ٣٤.

(٣) آداب العشرة، ١٤.

مطالب بهـا كل مسلم وخاصة أهل العلم قال الإمام الآجري رحمه الله وهو يعدد أخلاق العالم الرباني أنه: (لا مداهن، ولا مشاحن،. ولا مختال، ولا حسود، ولا حقود، ولا سفيه، ولا جاف، ولا فظ، ولا غليظ، ولا طعَّان، ولا لعَّان، ولا مغتاب، ولا سبَّاب، يخالط من الإخوان من عاونه على طاعة ربه ونهاه عما يكره مولاه، ويخـالق بالجميل من لا يأمن شره إبقـاء على دينه، سليم القلب للعباد من الغل والحسد، يغلب على قلبه حسن الظن بالمؤمنين في كل ما أمكن فيه العذر، لا يحب زوال النعم عن أحد من العباد)(١).

هذا أدب العـالم وقريباً منه ما ذكره ابن جماعة رحمه الله عن أدب المتعلم حيث قال: «أن يطهر قلبه من كل غش ودنس وغل وحسد، وسوء عقيدة وخلق ليصلح بذلك لقبول العلم وحفظه والاطلاع على دقائق معـانيه وحقائق غوامضه، فإن العلم كما قال بعضهم

---

(١) أخلاق العلماء، ٥٤.

صلاة السر وعبادة القلب وقربة الباطن وكما لا تصح الصلاة التي هي عبادة الجوارح الظاهرة إلا بطهارة الظاهر من الحدث والخبث، فكذلك لا يصح العلم الذي هو عبادة القلب إلا بطهارته عن خبث الصفات وحدث مساوي الأخلاق ورديئها. وإذا طيب القلب للعلم ظهرت بركته ونما كالأرض إذا طيبت للزرع نما زرعها وزكا، وفي الحديث: «إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّه، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»[1]، وقال سهل: «حرام على قلب أن يدخله النور وفيه شيء مما يكره الله عز وجل»[2].

وعن فتح بن شخرف قال: قال لي عبدالله الأنطاكي: «يا خراساني إنما هي أربع لا غير، عينك ولسانك وقلبك وهواك فانظر عينك لا تنظر بها إلى مالا يحل، وانظر لسانك لا تقل به شيئاً يعلم الله خلافه من قلبك

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم، ٦٧.

وانظر قلبك لا يكون منه غل ولا حقد على أحد من المسلمين، وانظر هواك لا يهوى شيئاً من الشر، فإذا لم يكن فيك هذه الأربع خصال فاجعل الرماد على رأسك فقد شقيت»[1]. وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول: «النعم تكفر والرحم تقطع ولم نر مثل تقارب القلوب»[2].

ومن المعلوم أن الطهارة تنقسم إلى قسمين: طهارة حسية وهي طهارة البدن، وطهارة معنوية وهي طهارة القلب، ولا تتم طهارة القلب إلا بسلامته من كل رذيلة. وإذا جمع العبد بين طهارة البدن وطهارة القلب فقد استحق محبة الله التي يتمناها كل مسلم، لأن الله تعالى يقول: ﴿**والله يحب المُطَّهرين**﴾ [التوبة: ١٠٨].

---

(١) الزهد الكبير للبيهقي، ١٧٤.

(٢) الأدب المفرد، ١٠٣.

والملاحظ في أكثر الناس اليوم هو الحرص على طهارة ظواهرهم مع إهمالهم لطهارة بواطنهم، والله المستعان.

## سلامة صدر النبي ﷺ

لقد زكّىٰ المولى جل وعلا نبينا ﷺ بقوله: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾ [القلم: ٤]، ومن هذا الخلق الذي كان عليه النبي عليه الصلاة والسلام سلامة الصدر، فلم يكن في صدره ﷺ محل لغضب لغير الله، ولا للغل والحسد كيف وقد أرسله الله عز وجل ﴿**رحمة للعالمين**﴾؟ كيف وقد عصمه الله عز وجل واستخرج كل هذا من قلبه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب، واستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله بطست من ذهب بماء زمزم ثم لأَمَه[1] ثم أعاده

---

(١) لأمه: أي جمعه وضم بعضه إلى بعض.

في مكـانه[1]، وقد ورد في رواية أن الذي أخرج من صدره ﷺ هو «الغل والحسد»[2] ومع ذلك فقد كان الله عز وجل يأمره بالعفو والصفح والتجاوز كما في قوله: ﴿**خـذ العفـو وأمـر بالعرف وأعرض عن الجاهلين**﴾ [الأعـراف: ١٩٩]، وفي قولـه: ﴿**فـاصفـح الصفـح الجميل**﴾ [الحجر: ٨٥]، وغيرها من الآيات.

وإليك بعضاً من مواقفه ﷺ التي تبرز هذا الجانب من خلقه العظيم: سألته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقالت: هل أتي عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا

---

(١) رواه مسلم.

(٢) هذه الرواية جاءت في حديث في المسند ٥/٣٩ عن عبدالله بن الإمـام أحمـد. قال الهيثمي في المجمع ٨/٢٢٣: رجاله ثقات وثقهم ابن حبان.

مهموم على وجهي فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، وإن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»[1]، فلم يكن عليه الصلاة والسلام يغضب لنفسه ولا يبغض أحداً لذاته إنما كان كل أمره لله عز وجل، كما قالت أيضاً عائشة رضي الله عنها: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء فينتقم لصاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى فينتقم لله تعالى»[2].

---

(١) رواه البخاري ومسلم. (٢) رواه مسلم.

«وتأمل حال النبي ﷺ إذا ضربه قومه حتى أدموه فجعل يسلت الدم ويقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[1] كيف جمع في هذه الكلمات أربع مقامات من الإحسان قابل بها إساءتهم العظيمة إليه. أحدها: عفوه عنهم. والثاني: استغفاره لهم، الثالث: اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون. الرابع: استعطافه لهم

(١) قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحكى نبياً من الأنبياء، ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» رواه البخاري ومسلم. نقل ابن حجر رحمه الله في الفتح ٦/٦٠٢ عن القرطبي رحمه الله قوله: «النبي ﷺ هو الحاكي والمحكي» ثم رد هذا القول من القرطبي ولعل الصواب مع القرطبي إذ أنه ورد في معجم الطبراني برقم ٥٦٩٤ ما يدل على ذلك، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يوم أحد: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» قال الهيثمي في المجمع ٦/١١٧، ورجاله رجال الصحيح، أ.هـ، وورد أيضاً في المعجم من طريق آخر إلى سهل بن سعد وفيه قصة وهو برقم ٥٨٦٢.

بإضافتهم إليه فقال: «اغفر لقومي» كما يقول الرجل لمن يشفع عنده فيمن يتصل به هذا ولدي، هذا غلامي، هذا صاحبي فهبه لي»[1]. فإذا كان هذا حال النبي ﷺ مع أعدائه الكفار فكيف سيكون حاله إذن مع أصحابه الأبرار؟ تقول عائشة رضي الله عنهما: «لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ولا سخاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح»[2].

قال أحمد شوقي في وصف النبي ﷺ:

وإذا رحمت فأنت أم أو أب
هذان في الدنيا هما الرحماء
وإذا غضبت فإنما هي غضبة
لله لا حقد ولا شحناء

---

(١) بدائع الفوائد، ٢/٢٤٣.
(٢) صحيح الترمذي، ١٦٤٠.

وكـــان عليه الصـــلاة والســـلام ينهى عن مجـرد الحديث عن أحد من أصحابه حتى لا يحمل في نفسه على أحد منهم شيئاً، فكان يقول لهم: «لا يبلغني أحد عن أحد من أصحابي شيئاً، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»[1].

وكان حريصاً على سلامة صدور أصحابه تجاهه حتى لا يهلكوا فيه ومما يدل على ذلك ما رواه البخاري أن صفية زوج النبي ﷺ زارتـــه في المسجــــد وهـــو معتكف، فأراد أن يوصلها فلما بلغ باب المسجد مر رجلان من الأنصار فسلما على النبي ﷺ فقال لهما: على رسلكما إنما هي صفية بنت حيي. فقالا: سبحان الله يا رسول الله وكَبُرَ عليهما. فقال النبي ﷺ: «إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم وإني خشيت أن

(١) رواه أحمد وصححه أحمد شاكر رحمه الله برقم ٣٧٥٩، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود برقم ١٠٣٥.

يقذف في قلوبكما شيئاً»[1].

وروى أنه ﷺ خطب أصحابه قبل موته فكان مما قال: «ألا فمن كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد، ومن كنت أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه، ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقد، ولا يقولن قائل أخاف الشحناء من قبل رسول الله ألا وإن الشحناء ليست من شأني ولا من خلقي وإنَّ أحبكم إليَّ من أخذ حقاً إن كان له عليَّ أو حللني فلقيت الله عز وجل وليس لأحد عندي مظلمة»[2]، وكان يقول لأصحابه: «من كان له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن يكون لا دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»[3].

---

(١) رواه البخاري. (٢) البداية والنهاية ٥/٢٠٣.

(٣) رواه البخاري رحمه الله.

## قوم سلمت صدورهم

إن العفو وسلامة الصدر من سمات المؤمنين الصادقين وعلى رأسهم صحابة رسول الله ﷺ فقد كان لهم أوفر الحظ من هذا الخلق النبيل.

لقد كانوا صفاً واحداً يعطف بعضهم على بعض ويرحم بعضهم بعضاً ﴿**ولا يجدون في أنفسهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**﴾ [الحشر: ٩]، وليس هناك أدق من وصف الله لهم حينما قال: ﴿**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً**﴾ [الفتح: ٢٩].

لقد ألف الله بين قلوبهم حتى امتن على نبيه ﷺ بتسخيرهم له وتأليفه بين قلوبهم فقال: ﴿**هو الذي**

**أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾** [الأنفال: ٦٣].

إننا حينما نقلب سير هؤلاء نجد وقائع شتى وحوادث متفرقة في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته برز فيها هذا الخلق حتى قال إياس بن معاوية بن قرة: «كان أفضلهم عندهم أسلمهم صدوراً وأقلهم غيبة»[1]، وعن سفيان بن دينار قال: قلت لأبي بشر: أخبرني عن أعمال من كان قبلنا؟ قال: «كانوا يعملون يسيراً ويؤجرون كثيراً» قال: قلت: ولم ذاك؟ قال: لسلامة صدورهم»[2].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا جلوساً مع الرسول ﷺ فقال: يطلع عليكم الآن رجل من أهل

(١) مكارم الأخلاق، للطبراني سليمان بن أحمد، ٣٣٦.

(٢) أخرجه هناد في الزهد ٢ / ٦٠٠ بواسطة: تلقي الأخبار وروايتها للصويان، ١٠٤.

الجنَّة، فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد تعلق نعليه في يده الشمال فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضاً فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام النبي ﷺ تبعه عبدالله بن عمرو بن العاص فقال: إني لاحيت أبي فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت قال: نعم، قال أنس: وكان عبدالله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا تعار وتقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر، قال عبدالله غير أني لم أسمعه يقول إلا خيراً فلما مضت الثلاث ليال وكدت أن أحتقر عمله قلت: يا عبدالله إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرار يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلعت أنت الثلاث مرار فأردت أن أوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدي به

فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ فقال: ما هو إلا ما رأيت، قال: فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه. فقال عبدالله: هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق»[1].

وعن عائذ بن عمرو رضي الله عنه: أنا أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها. قال: فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال: «يا أبا بكر لعلك أغضبتهم؟ لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك» فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوتاه أغضبتكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخي»[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد ٣/١٦٦، والبغوي في شرح السنة ١٣/١١٢.

(٢) رواه مسلم.

فأبو بكر رضي الله عنه جاء ليعتذر منهم فوجد أن قلوبهم لم يداخلها شيء أصلاً فدعوا له بالمغفرة رضي الله عنهم أجمعين.

وهذا ابن عباس رضي الله عنه عندما شتمه رجل قال له: إنك لتشتمني وفي ثلاث خصال: إني لآتي على الآية في كتاب الله عز وجل فلوددت أن جميع الناس يعلمون منها ما أعلم، وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به ولعلي لا أقاضي إليه أبداً، وإني لأسمع أن الغيث قد أصاب بلداً من بلدان المسلمين فأفرح به، ومالي به من سائمه»[1].

وهذا أبو دجانة رضي الله عنه لما دخل عليه وهو مريض كان وجهه يتهلل فقيل له: ما لوجهك يتهلل؟ فقال: ما من عمل شيء أوثق عندي من اثنتين: كنت

---

(١) صفة الصفوة، ١/٧٥٣.

لا أتكلم فيما لا يعنيني، والأخرى فكان قلبي للمسلمين سليماً»[1].

هذه بعض أحوال هؤلاء القوم، وإنك لتعجب حينما تعلم أن قلوبهم لم تتغير حتى مع وقوع الفتنة التي أشهرت فيها السيوف وقتل فيها من قتل.

عن الشعبي قال: رأى علي طلحة في واد ملقى فنزل فمسح التراب عن وجهه وقال: عزيز علي أبا محمد بأن أراك مجدلاً في الأودية تحت نجوم السماء إلى الله أشكو عجري وبجري»[2].

وعن أبي حبيبة قال: دخلت على علي مع عمران بن طلحة بعد وقعة الجمل، فرحب به ثم أدناه ثم قال:

---

(١) سير أعلام النبلاء، ١/٢٤٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ١/٣٦، ومعنى عجري وبجري، قال الأصمعي: معناه: سرائري وأحزاني التي تموج في قلبي، سير أعلام النبلاء ١/٣٦.

إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك ممن قال فيهم ﴿**ونزعنا ما في صدورهم من غلٍ إخواناً على سرر متقابلين**﴾ [الحجر: ١٥] فقال رجلان جالسان أحدهما الحارث الأعور: الله أعدل من ذلك أن يقبلهم ويكونوا إخواننا في الجنة قال ـ أي علي ـ قوما أبعد أرض وأسحقها فمن هو إذا لم أكن أنا وطلحة! يا ابن أخي: إذا كانت لك حاجة فائتنا»[1].

هكذا كانت حياة أولئك الأبرار أما من أتى بعدهم ممن اقتفى أثرهم فقد ذكر الله حالهم أيضاً فقال: ﴿**والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم**﴾ [الحشر: ١٠] «سمة نفوسهم أنها تتوجه إلى ربها في طلب المغفرة لا لذاتها ولكن كذلك لسلفها الذين سبقوا بالإيمان، وفي طلب براءة القلب من الغل للذين آمنوا

---

(١) سير أعلام النبلاء ١/٣٨.

على وجــه الإطــلاق، ممن يربــطهم معهم ربــاط الإيمان»[1] فمن هؤلاء إمام أهل السنة المبجل أحمد بن حنبل رحمه الله الذي ناله من الأذى ما ناله فصبر واحتسب وكان موقفه من خصومه أن «جعل كل من آذاه في حل إلا أهل البدعة، وكان يتلو في ذلك قوله تعالى: ﴿**وليعفوا وليصفحوا**﴾ [النور: ٢٢]، ويقول: ما ينفعك أن يعـذب أخـوك المسلم بسببـك؟ وقد قال تعالى: ﴿**فمن عفــا وأصلح فأجــره على الله إنــه لا يحب الظالمين**﴾ [الشورى: ٤٠][2].

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول عنه تلميذه ابن القيم رحمه الله: «ما رأيت أحداً قط أجمع لهذه الخصال من شيخ الإسلام ابن تيمية»[3]، ويعني بالخصال: الصفح والعفو وسلامة الصدر.

---

(١) في ظلال القرآن ٦/٣٥٢٧.

(٢) البداية والنهاية ١٠/٣٤٩.

(٣) مدارج السالكين ٢/٣٥٩.

ولعل بعض رسائله التي بعثها من السجن تبين ما كان عليه رحمه الله في هذا الجانب، فهو في أحدها يقول بعد أن حث على الألفة وعدم الفرقة، وأول ما أبدأ به من هذا الأصل ما يتعلق بي فتعلمون ـ رضي الله عنكم ـ أني لا أحب أن يؤذى أحد من عموم المسلمين ـ فضلاً عن أصحابنا ـ بشيء أصلاً لا باطناً ولا ظاهراً، ولا عندي عتب على أحد منهم ولا لوم أصلاً، بل هم عندي من الكرامة والإجلال والمحبة والتعظيم أضعاف أضعاف ما كان، كل بحسبه، ولا يخلو الرجل إما أن يكون مجتهداً مصيباً أو مخطئاً أو مذنباً، فالأول مأجور مشكور، والثاني مع أجره على الاجتهاد فمعفو عنه مغفور له، والثالث: فالله يغفر لنا وله ولسائر المؤمنين. فنطوي بساط الكلام المخالف لهذا الأصل كقول القائل: فلان قصر، فلان ما عمل، فلان أوذي الشيخ بسببه، فلان كان سبب هذه القضية، فلان كان يتكلم في كيد فلان ونحو هذه الكلمات التي

فيها مذمَّــة لبعض الأصحاب والإخوان فإني لا أسامح من آذاهم من هذا الباب ولا حول ولا قوة إلا بالله»[1].

إلى أن قال: «وقد أظهر الله نور الحق وبرهانه مارد به إفـك الكاذب وبهتانه، فلا أحب أن ينتصر من أحد بسبب كذبه عليّ أو ظلمه وعدوانه، فإني قد أحللت كل مسلم وأنا أحب الخير لكل المسلمين، وأريد لكل مؤمن من الخير ما أحبه لنفسي، والذين كذبوا وظلموا فهم في حل من جهتي، وأما ما يتعلق بحقوق الله، فإن تابوا تاب الله عليهم وإلا فحكم الله نافذ فيهم»[2] إلى آخـر كلامـه النفيس الذي قد ملأه بعفوه وحلمه رحمه الله.

قال ابن القيم رحمه الله: كان بعض أصحاب ابن تيمية الأكابر يقول: وددت أني لأصحابي كابن تيمية لأعدائه وخصومه، وما رأيته يدعو على أحد من خصومه

---

(١) مجموع الفتاوى، ٢٨/٥٢.

(٢) مجموع الفتاوى، ٢٨/٥٥.

قط، بل كان يدعو لهم، وجئته يوماً مبشراً بموت أكبر أعدائه، وأشدهم عداوة، وأذى له، فنهرني وتنكر لي واسترجع. ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم وقال: إني لكم مكانه ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه، ونحو هذا من الكلام فسروا به ودعوا له، وعظموا هذه الحال منه فرحمه الله ورضي عنه»[1]. حتّى أعدائه وخصومه شهدوا له بذلك رحمه الله.

فهذا ابن مخلوف كان من أشد الناس عداوة لشيخ الإسلام، بل إنه ممن أفتى بقتله كان يقول: «ما رأينا مثل ابن تيمية حرَّضْنا عليه فلم نقدر عليه وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا»[2].

---

(١) مدارج السالكين، ٢/٣٥٩.

(٢) البداية والنهاية ١٤/٥٦.

## فساد ذات البين وأثره على الأمة

لقد حذر الله عز وجل هذه الأمة في عدة مواضع من كتابه من الوقوع فيما وقع فيه من قبلها من الأمم فقال: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾ [آل عمران]. وقال: ﴿ولا تكونوا من المشركين من الذين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون﴾[الروم: ٣١].

ونزّه الله عز وجل نبيه ﷺ بأن يكون من أهل التفرق والاختلاف بقوله: ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله فينبئهم بما كانوا يفعلون﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وأمر سبحانه وتعالى المؤمنين بالاعتصام بحبله

والتعاون على طاعته فقال: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال: ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب**﴾ [المائدة: ٢].

وكل أمر منه جل وعلا بالتواد والائتلاف إنما هو في حقيقته نهي عن التفرق والاختلاف، وقد حرَّم الله على المؤمنين كل ما يوقع بينهم العداوة والبغضاء كالخمر والميسر وغيرهما إذ أن الاختلاف شر وفتنة ولذلك فإن الشيطان يجعله في المرتبة الثانية بعد الشرك بالله، فهو متى ما رأى أن باب عبادة الخلق له مغلق أتى من هذا الباب بالتحريش وإيغار الصدور، وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم»[1]. وقد قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات**

(١) رواه مسلم.

**الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر﴾** [النور: ٢١].

إنك حين تتأمل المصائب والآثار التي تحل بسبب فساد ذات البين تدرك سر قول النبي ﷺ: «فساد ذات البين الحالقة»[١] فهي تحلق الدين وتذهبه وقد لا يشعر المرء بذلك، فمن الآثار على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

**أولاً: ضعف الأمة وتكالب أعدائها عليها:**

إنه لا يشك عاقل أن المستفيد الأول من تفرق الأمة هم أعدائها الذين يتربصون بها ويمكرون بها الليل والنهار فينمون ما يقع بين أفرادها وجماعاتها ولو كان أمراً يسيراً لأنهم يعلمون أن المسلم إذا اشتغل بإخوانه بالتنقيص من قدرهم والتزهيد في علمهم وعملهم فلن يكون له وقت للوقوف في وجه عدوه سواء كان هذا

---

(١) صحيح سنن أبي داود رقم ٤١١١.

العدو من أهل البدع الذين لم ينقطعوا عن بث سمومهم أو كان من أهل الكفر والإلحاد ممن استذلوا هذه الأمة وأشغلوا شبابها بما لا ينفعهم، قال تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ [الأنفال: ٤٦].

**ثانياً: فوات الفضائل:**

والمؤمن الصادق يحرص على كل فضيلة ويعد فواتها عليه من المصائب. ومن هذه الفضائل التي تفوت عرض الأعمال ومغفرة الذنوب كما في الحديث: «تعرض الأعمال كل اثنين وخميس فيغفر الله لكل امرىء لا يشرك به شيئاً إلا امرءاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول: اتركوا هذين حتى يصطلحا»(١).

وفي الحديث الآخر: «يطلع الله على جميع خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك

---

(١) رواه مسلم.

أو مشاحن»[1].

حتى في عهد النبي ﷺ كان التخاصم سبب في فوات بعض الفضائل ومن ذلك نسيان النبي ﷺ تحديد ليلة القدر بعد أن أعلمه الله بها.

فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «خرج رسول الله ﷺ ليخبرنا بليلة القدر، فتلاحىٰ رجلان من المسلمين فقال: خرجت لأخبركم بليلة القدر، فتلاحىٰ فلان وفلان فرفعت، وعسى أن يكون خيراً لكم، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة»[2].

وفي رواية مسلم «فجاء رجلان يحتقان معهما الشيطان» قال النووي: «ومعناه يطلب كل واحد منهما حقه ويدعى أنه المحق، وفيه أن المخاصمة والمنازعة مذمومة، وأنها سبب للعقوبات المعنوية»[3].

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب رقم ١٠١٦.

(٢) رواه البخاري ومسلم. (٣) شرح مسلم ٨/٦٣.

### ثالثاً: محاربة الله:

فإذا رأيت مجتمعاً يهان فيه خياره ويكرم فيه شراره، فاعلم أنه قد تودع منه، وذلك أن أذية أولياء الله هي في حقيقتها حرب لله عز وجل توجب العقوبة العاجلة أو الآجلة، قال تعالى: ﴿**والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً**﴾ [الأحزاب: ٥٨]، وقال تعالى في الحديث القدسي: «من عادىٰ لي ولياً فقد آذنته بالحرب»[١].

### رابعاً: سوء الخاتمة:

وذلك حين يصل فساد ذات البين إلى الهجر والقطيعة فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث فمن هجره فوق ثلاث فمات دخل النار»[٢].

---

(١) رواه البخاري.
(٢) صحيح أبي داود ٤١٠٦.

## آثار الغل والحسد على صاحبه

إن الغل والحسد من الفساد الذي يعتري القلوب وهذا الفساد يظهر على الجوارح لقول النبي ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلّه»[1] ولكن على من ابتلى بهذا الداء أن يجاهد نفسه حتى يخرجه من قلبه أو على الأقل يمنع نفسه من التعدي على أحد بسببه لقول النبي ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[2] قيل للحسن البصري: يا أبا سعيد هل يحسد المؤمن؟ فقال: «ما أنساك بني يعقوب؟ لا أبالك حيث حسدوا يوسف! قال: نعم، ولكن عم الحسد في

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

صدرك فإنه لا يضرك مالم يعد لسانك أو تعمل به يدك»[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والمقصود أن الحسد مرض من أمراض النفس وهو مرض غالب فلا يخلص منه إلا قليل من الناس، ولهذا يقال: ما خلا جسد من حسد، ولكن اللئيم يبديه والكريم يخفيه»[2].

وسأذكر هنا بعضاً من آثار الحسد على صاحبه لكي يكون المرء في منجى منها وبعد عنها فمن الآثار:

١ـ غم، وهم لازم ينقطع به العبد عن كثير من الأمور النافعة «فإن القلب إذا اشتغل بشيء فاته ما هو أهم عنده وخير له منه فيكون بذلك مغبوناً، والرشيد لا يرضىٰ بذلك ويرى أنه من تصرفات السفيه»[3]. قيل

---

(١) التوبيخ والتنبيه ١٠٢.

(٢) مجموع الفتاوىٰ ١٠/١٢٤.

(٣) مدارج السالكين ٢/٣٣٣.

لحماد بن زيد: ما أعون الأشياء على الحفظ؟ قال: قلة الغم»[1]. وقال مالك بن دينار: إن الأبرار تغلي قلوبهم بأعمال البر، وإن الفجار تغلي قلوبهم بأعمال الفجور فانظروا ما همومكم رحمكم الله»[2].

٢ـ الغيبة، وقد نهى الله عز وجل عنها وحذر منها وشبه صاحبها بأكل لحم أخيه فقال تعالى: ﴿**ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم**﴾ [الحجرات: ١٢].

قال ابن القيم رحمه الله: «ولهذا تجد الرجل يقوم الليل ويصوم النهار، ويتورع من استناده إلى وسادة حرير لحظة واحدة، ويطلق لسانه في الغيبة والنميمة والتفكه في أعراض الخلق، وربما رخص أهل الصلاح والعلم بالله والدين والقول على الله مالا يعلم، وكثير

(١) الجامع للخطيب ٢/ ٤٠١.

(٢) الهم والحزن لابن أبي الدنيا ٧٦.

ممن تجده يتورع عن الدقائق من الحرام والقطرة من الخمر ومثل رأس الإبرة من النجاسة ولا يبالي بارتكاب الفرج الحرام. . . . وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم، ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات ولا يبالي بما يقول»[1]، وهذا الذي ذكره رحمه الله شبيه بحال بعض أهل زماننا فكم تجد اليوم من يتورع عن مثل رأس الإبرة من الطيب الذي قد يكون فيه نسبة من الكحول ويتورع عن أكل اللحم المستورد، ولكنه لا يتورع عن لحوم إخوانه المسلمين، وأعراضهم، بل ويعد هذا أحياناً من النصيحة لله ولرسوله، وقد قال النبي ﷺ: «إن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه»[2] وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الآخر: «لما عرج بي ربي عز وجل مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء

---

(١) عدة الصابرين، ٧٢. (٢) السلسلة الصحيحة رقم ١٨٧١.

الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم»[1].

٣ـ الغمز واللمز: حيث أن من وقع في الغيبة وهانت عنده لحوم إخوانه فلن يجد في نفسه حرجاً فيما هو أخفى من ذلك وقد قال الله تعالى: ﴿**ولا تلمزوا أنفسكم**﴾ [الحجرات: ١١]، وقال: ﴿**ويل لكل همزة لمزة**﴾ [الهمزة: ١].

٤ـ تتبع العثرات، فمن في قلبه غل على أحد فإنه يبدأ بالبحث عن كل عثرة وزلة سقط فيها، ثم يجمع ذلك في مذكرة عنده أو ينشره في كتاب أو شريط، مع العلم بأن هناك من وقع في أكثر مما وقع فيه صاحبه، ولكن صدق القائل:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
كما أن عين السخط تبدي المساويا

وعلى هذا الأثر يترتب أثرين آخرين هما الأثر الخامس والسادس.

---

(١) رواه أحمد وأبو داود «السلسلة الصحيحة رقم ٥٣٣.

٥ـ الغفلة عن عيوب النفس: فتكون حاله كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «يبصر أحدكم القذىٰ في عين أخيه وينسى الجذع في عينه»[1].

ودائماً تجد أن الذي يهتم بعيوب الناس هو من أكثرهم عيوباً، كما قيل:

وأجـــرأ من رأيت بظهـــر غيب
على عيب الرجال ذوو العيوب

«فطوبى لمن شغله عيوبه عن عيوب الناس وويل لمن نسي عيبـه وتفـرغ لعيوب الناس هذا من علامة الشقاوة كما أن الأول من أمارات السعادة»[2].

٦ـ الظلم: قال محمد بن سيرين: «ظلمت أخاك إذا ذكرت مساوئه، ولم تذكر محاسنه»[3]، قال تعالى:

---

(١) السلسلة الصحيحة رقم ٣٣.

(٢) مفتاح دار السعادة، ١/٢٩٨.

(٣) الجامع للخطيب، ٢/٣٠٢

**﴿ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون. وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾** [المطففين: ١-٣].

قال العلامة السعدي رحمه الله: «يدخل في عموم هذا، الحجج والمقالات فإنه كما أن المتناظرين قد جرت العادة أن كل واحد منهما يحرص على ماله من الحجج، فيجب عليه أيضاً، أن يبين ما لخصمه من الحجة التي لا يعلمها، وأن ينظر في أدلة خصمه، كما ينظر في أدلته هو، وفي هذا الموضع يعرف إنصاف الإنسان من تعصبه واعتسافه وتواضعه من كبره وعقله من سفهه، نسأل الله التوفيق لكل خير»(١).

٧- الكذب: وهذا يفعله من فقد صوابه ولم يراقب الله تعالى في نفسه فيحمله حسده على أن ينسب لمحسوده كلمات ما قالها وتصرفات ما فعلها،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ٥٨٧/٧.

كما نسب للإمام البخاري القول بخلق القرآن، واتهم الخطيب البغدادي رحمه الله في عرضه وهو من أبعد الناس عما قيل فيه، وما حصل لهؤلاء الأئمة وغيرهم من إخوانهم يحصل الآن في حق بعض العلماء وطلبة العلم فتختلق عليهم الأقوال، وتنسب إليهم الأعمال وهم براء منها لا يدرون عنها. حالهم كحال أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إذ لم تعلم بالإفك إلا بعد شهر من تقوله عليها: ﴿**وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم**﴾ [النور: ١٥].

## أسباب التشاحن والتباغض

إن هناك أسباباً كثيرة تعكر صفاء القلوب وتملأها حقداً وبغضاً. وبما أن الوقاية خير من العلاج، فإني اذكـر هنـا بعض هذه الأسباب لكي يحذرها المسلم الحـريص على سلامـة قلبـه، ويسعى بعد ذلك إلى معرفة الوسائل والأسباب المؤدية إلى سلامة الصدر، ثم يعمل بها فإن المقصود من ذكر ذلك هو العمل وليس العلم المجرد، فإن ذلك لا يغني عن أهله شيئاً، فأول هذه الأسباب هو:

**الشيطان:**

قال الله تعـالى: ﴿**وقـل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبينـــاً**﴾ [الإسـراء: ٥٣]. وقـال عليه الصـلاة

والسلام: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم»[1].

**ثانياً: البدعة:**

«وذلك أن صاحب البدعة ينتصر لبدعته والسنة لا بد لها من طائفة تبينها وتقوم عليها وبذلك تنقسم الأمة على نفسها وتصبح شيعاً وأحزاباً وقد يشتد الخصام بين الفرق فيقع بينهم التكفير واستحلال الدماء وتنقلب الأمة يضرب بعضها رقاب بعض»[2].

قال أبو العالية رحمه الله: «تعلموا الإسلام فإذا تعلمتم الإسلام فلا ترجعوا عنه يميناً ولا شمالاً وعليكم بالصراط المستقيم وعليكم بسنة نبيكم والذي كان عليه أصحابه وإياكم وهذه الأهواء التي تلقى بين الناس

---

(١) رواه مسلم.

(٢) البدعة، أسبابها ومضارها، للشيخ محمود شلتوت ٥٨.

العداوة والبغضاء»[1].

قال ابن بطة رحمه الله: «أعاذنا الله وإياكم من الآراء المخترعة والأهواء المتبعة والمذاهب المبتدعة، فإن أهلها خرجوا عن اجتماع إلى شتات وعن نظام إلى تفرق وعن أنس إلى وحشة وعن إئتلاف إلى اختلاف وعن محبة إلى بغض، وعن نصيحة وموالاة إلى غش ومعاداة، وعصمنا وإياكم من الانتماء إلى كل اسم خالف الإسلام والسنة»[2].

**ثالثاً: الغضب:**

«اعلم أن الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقداً»[3] فالغضب مدخل عظيم من مداخل الشيطان للتحريش بين المؤمنين والغالب في الناس أنهم يغضبون لأنفسهم

(١) الإبانة، ج١، ص ٢٩٩، ٣٣٨.

(٢) الإبانة، ١/٣٨٨.

(٣) الإحياء، ٣/١٩٢.

وإن كان الشيطان أحياناً يلبس هذا الغضب بلباس الحمية لدين الله والغيرة على محارمه.

قال جعفر بن محمد: «الغضب مفتاح كل شر»[1] ولذلك لما طلب رجل من النبي ﷺ أن يوصيه قال له عليه الصلاة والسلام: «لا تغضب فردد مراراً فقال: لا تغضب»[2]، «لأن من لا يملك نفسه عند الغضب إذا غضب قال فيمن غضب عليه ما ليس فيه من العظايم، وهو يعلم أنه كاذب وربما علم الناس بذلك ويحمله حقده وهوس نفسه على الإصرار على ذلك»[3]، فعلى المسلم أن يتقي الله إذا غضب وألا يخرجه غضبه إلى ما حرم الله.

قال ابن رجب رحمه الله: «وقد مدح الله من يغفر عند غضبه فقال: ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾

---

(١) شرح حديث عمار بن ياسر، لابن رجب ٢٩.

(٢) رواه البخاري.

(٣) شرح حديث عمار بن ياسر، ٢٩.

[الشورى: ٣٧] لأن الغضب يحمل صاحبه على أن يقول غير الحق ويفعل غير العدل، فمن كان لا يقول إلا الحق في الغضب والرضا دل ذلك على شدة إيمانه وأنه يملك نفسه»(١).

وقد كان من دعائه عليه الصلاة والسلام: «اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة وأسألك كلمة الإخلاص في الرضا والغضب»(٢).

رابعاً: النميمة:

هذه الخصلة التي تنفر منها الفطر السليمة وتبغضها الطباع المستقيمة فكم مزقت من صحبةُ، وأوقدت من فتنة، وأوغرت قلوباً كانت بعيدة عن أعراض المسلمين، حتى أصبحت والغة فيها، ولذلك فهي من كبائر الذنوب ومما يعاقب عليه العبد في قبره

---

(١) شرح حديث عمار بن ياسر، ٢٨.

(٢) رواه النسائي والحاكم وهو في صحيح الجامع برقم ١٣٠١.

قبل نشره.

عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة قتّات[1]» والقتّات هو النمام، وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: مر رسول الله ﷺ بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة»[2] الحديث، وروى وكيع عن أبيه عن عطاء بن السائب قال: قدمت من مكة فلقيني الشعبي فقال: يا أبا زيد أطرفنا مما سمعت، قلت: سمعت عبدالرحمن بن عبدالله بن سابط يقول: لا يسكن مكة سافك دم ولا آكل ربا ولا مشّاء بنميم، فعجبت منه حينما عدل النميمة بسفك الدماء وأكل الربا، فقال الشعبي: وما يعجبك من هذا؟ وهل تسفك الدماء وترتكب العظائم إلا بالنميمة؟»[3].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) الزهد لوكيع ٣/٣.

وإذا كان الله عز وجل ينهى نبيه ﷺ عن طاعة من كانت النميمة صفة من صفاته فنحن أحرى بأن ننهى ونتناهى عن ذلك، قال تعالى: ﴿**ولا تطع كلَّ حلَّاف مهين، همَّاز مشاء بنميم**﴾ [القلم: ١٠-١١)، «يمشي بين الناس ويحرش بينهم وينقل الحديث لفساد ذات البين»[1].

وقد نصح القائل:

واعصوا الذي يسدي النميمة بينكم
متنصحـاً وهـو السمـام المنقـعُ
يزجـي عقـاربـه ليبـعـث بينـكـم
حربـاً كمـا بعث العـروقَ الأخـدعُ

**خامساً: الحسد:**

حيث أنه «يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما»[2]

(١) تفسير ابن كثير ٤/٤٠٣.
(٢) الإحياء ٣/٢٠٥.

وهو الذي سماه النبي ﷺ داء الأمم فقال: «دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء»[1] فالنبي عليه الصلاة والسلام (قرن في الحديث بين الحسد والبغضاء لأن الحاسد يكره أولاً فضل الله على ذلك الغير ثم ينتقل إلى بغضه، فإن بغض اللازم يقتضي بغض الملزوم)[2].

وأقبح أنواع الحسد هو ما يكون بين المنتسبين إلى العلم والدعوة، فإنه (قد يبتلي بعض المنتسبين إلى العلم وغيرهم بنوع من الحسد لمن هداه الله لعلم نافع أو عمل صالح، وهو خلق مذموم مطلقاً وهو في هذا الموضع من أخلاق المغضوب عليهم)[3].

وهو من أعظم أسباب الغيبة لأن الحاسد (يحسد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد أن يسقط

(١) صحيح الترمذي ٢٠٣٨.
(٢) مجموع الفتاوى ١٠/١٢٧.
(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ٦.

ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن كرامته والثناء عليه لأنه يثقل عليه أن يسمع كلام الناس وثناءهم عليه وإكرامهم له»[1].

وسبب الحسد للعالم هو تميزه عن غيره بإخلاصه أو وفور علمه أو جرأته على قول الحق أو نحو ذلك، قال أبو زرعة: سمعت سليمان بن حرب ذكر عمرو بن مرزوق فقال: جاء بما ليس عندهم فحسدوه)[2].

قال الشاعر:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه
فالكل أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها
حسداً وظلماً إنه لذميم

---

(١) الإحياء ٣/١٥٦.
(٢) سير أعلام النبلاء ١٠/٤١٨.

## سادساً: المراء والجدال:

قال الآجري رحمه الله: «وعند الحكماء أن المراء أكثره يغير قلوب الإخوان ويورث التفرقة بعد الألفة والوحشة بعد الأنس»[1] وقال مالك رحمه الله: المراء يقسي القلوب ويورث الضغائن»[2].

وما ذكره الإمام مالك والإمام الآجري رحمهما الله واضح بيِّن ولهذا حذَّر السلف رحمهم الله كثيراً من المراء تارة بأقوالهم وتارة بأفعالهم.

قال ابن رجب رحمه الله: «ومما أنكره أئمة السلف الجدال والخصام والمراء في مسائل الحلال والحرام أيضاً، ولم يكن ذلك طريقة أئمة الإسلام وإنما أحدث ذلك بعدهم» وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا

---

(١) أخلاق العلماء ٥١.

(٢) الإحياء ٣/١٢٦.

الجدل، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿**ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون**﴾ [الزخرف: ٨][١].

وقال بعض السلف: «إذا أراد الله بعبد خيراً فتح له باب العمل وأغلق عنه باب الجدل، وإذا أراد الله بعبد شراً أغلق عنه باب العمل وفتح له باب الجدل»[٢] ولما سمع الحسن قوماً يتجادلون قال: «هؤلاء ملُّوا العبادة، وخف عليهم القول وقل ورعهم فتكلموا»[٣].

**سابعاً: الهوىٰ:**

«ليس الذي يثير النزاع هو اختلاف وجهات النظر إنما هو الهوى الذي يجعل كل صاحب وجهة يصر عليها مهما تبين له وجه الحق في غيرها، وإنما هو وضع الذات في كفه، والحق في كفه، وترجيح الذات

---

(١) صحيح الترمذي ٢٥٩٣.

(٢) فضل علم السلف على الخلف ٣٢.

(٣) فضل علم السلف على الخلف ٣٥.

على الحق ابتداء»[1] قال الله تعالى: ﴿**ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله**﴾ [القصص: ٥٠].

وعدَّ النبي ﷺ الهوى من المهلكات فقال: «ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه»[2] واتباع الهوى مظنة الظلم والبغي، ولذلك قال تعالى: ﴿**فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا**﴾ [النساء: ١٣٥] أي: فلا يحملنكم الهوى والعصبية وبغض الناس إليكم على ترك العدل في أموركم وشؤونكم، بل الزموا العدل على أي حال كان»[3].

قال ابن رجب رحمه الله: «ولما كثر اختلاف الناس في مسائل الدين وكثر تفرقهم كثر بسبب ذلك تباغضهم وتلاعنهم وكل منهم يظهر أنه يبغض لله، وقد يكون في نفس الأمر معذوراً، وقد لا يكون معذوراً،

(١) في ظلال القرآن ٣/١٥٢٩.

(٢) السلسلة الصحيحة ١٨٠٢.

(٣) تفسير ابن كثير ١/٥٦٥.

بل يكون متبعاً لهواه مقصراً في البحث عن معرفة ما يبغض عليه»[1]، قال ابن الجوزي رحمه الله: «من ركب الهوى هوى به»[2].

فصاحب الهوى الذي لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه لا يؤجر على عمل عمله أبداً، بل هو دائماً على وزر كما (قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: «لا تكن ممن يتبع الحق إذا وافق هواه، ويخالفه إذا خالف هواه، فإذا أنت لا تثاب على ما اتبعته من الحق وتعاقب على مخالفته».

قال شيخ الإسلام معلقاً على هذا الأثر: وهو كما قال ـ رضي الله عنه ـ لأنه في الموضعين إنما قصد اتباع هواه لم يعمل لله)[3].

والصفة التي تميز العالم الرباني عن المبتدع

---

(١) جامع العلوم والحكم ٢/٢٦٧.

(٢) المدهش ٥١٧. (٣) مجموع الفتاوى ١٠/٤٨٠.

وصاحب الهوى هي ما ذكره عبدالرحمن بن مهدي رحمه الله بقوله: «أهل العلم يكتبون مالهم وما عليهم وأهل الأهواء لا يكتبون إلا مالهم»(١) فانظر نفسك أخي هل أنت من هؤلاء أم من أولئك عصمنا الله وإياك.

**ثامناً: البغي في الخلاف:**

ولا أقول الخلاف لأن الخلاف إذا كان في المسائل التي يجوز فيها وكان سليماً من البغي لم يكن مذموماً فإن (الاجتهاد السائغ لا يبلغ مبلغ الفتنة والفرقة إلا مع البغي لا لمجرد الاجتهاد، كما قال تعالى: ﴿**وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم**﴾ [آل عمران: ١٩]. قال: ﴿**إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء**﴾ [الأنعام: ١٥٩]. وقال: ﴿**ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات**﴾ [آل عمران: ١٠٥]، فلا يكون فتنة ولا فرقة مع وجود الاجتهاد

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٧.

السائغ، بل مع نوع بغي)[1] «وكل ما أوجب فتنة وفرقة فليس من الدين سواء كان قولاً أو فعلاً»[2].

وقال الإمام الشاطبي: (كل مسألة حدثت في الإسلام، واختلف الناس فيها، ولم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة، علمنا أنها من مسائل الإسلام، وكل مسألة حدثت وطرأت فأوجبت العداوة والبغضاء والتدابر والقطيعة، علمنا أنها ليست من أمر الدين في شيء»[3] ولم يكن يداخل قلوب السلف رحمهم الله شيء من الغل أو البغض لأحد من إخوانهم بمجرد مخالفته لهم ولم يكونوا يتهمون نيات من خالفهم ولم يبدع بعضهم بعضاً، فإن هذا من البغي الذي وقع فيه من جاء بعدهم، بل كانت القلوب سليمة والمحبة ظاهرة.

(قال يونس الصدفي: ما رأيت أعقل من الشافعي

---

(١) الاستقامة لشيخ الإسلام ١/٣١.

(٢) الاستقامة ١/٣٧. (٣) الاعتصام ٢/٧٣٤.

ناظرته يوماً في مسألة ثم افترقنا ولقيني فأخذ بيدي ثم قال: يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة واحدة؟)[1] وكان الإمام أحمد يذكر إسحاق بن راهوية فيمدحه ويثني عليه ويقول: «لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق وإن كان يخالفنا في أشياء، فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضاً»[2].

## تاسعاً: التعصب لغير الحق:

سواء كان هذا التعصب لمذهب أو قبيلة أو حزب أو جماعة أو شخص أو غير ذلك، وسواء سمي هذا التعصب وراثة أو تقليداً أو حمية أو غير ذلك فإنه مذموم منهي عنه.

عن جندب بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل تحت راية عمية، يدعو

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/١٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ١١/٣٧١.

عصبية، أو ينصر عصبية، فقتلة جاهلية»[1] حتى أن النبي عليه الصلاة والسلام أنكر على من استغاث بالمهاجرين ومن استغاث بالأنصار وقال: «ما بال دعوى الجاهلية» وقال: «دعوها فإنها خبيثة» وفي رواية قال: «دعوها فإنها منتنة»[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومن نصب شخصاً كائناً من كان فوالى وعادى على موافقته في القول والفعل فهو ﴿من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً﴾ [الروم: ٣١]، وإذا تفقه الرجل وتأدب بطريقة قوم من المؤمنين مثل: اتباع الأئمة والمشايخ فليس له أن يجعل قدوته وأصحابه هم المعيار، فيوالي من وافقهم ويعادي من خالفهم فينبغي للإنسان أن يعود نفسه التفقه الباطن في قلبه، والعمل به فهذا زاجر وكمائن القلوب تظهر عند المحن، وليس لأحد أن يدعو

---

(١) رواه مسلم.

(٢) كلا الروايتين في البخاري.

إلى مقـالةٍ أو يعتقدها لكونها قول أصحابه ولا يناجز عليها، بل لأجل مما أمر الله به ورسوله أوْ أخبر الله به ورسوله لكون ذلك طاعة لله ورسوله، وينبغي للداعي أن يقدم فيما استدلوا به من القرآن فإنه نور وهدى ثم يجعل كلام إمام الأئمة رسول الله ﷺ ثم كلام الأئمة»[1].

وقـال تلميذه ابن القيم رحمـه الله: «وإنمـا كثر الاختلاف وتفاقم أمره بسبب التقليد وأهله، وهم الذين فرقوا الدين وصيروا أهله شيعاً كل فرقة تنصر متبوعها وتـدعـو إليه وتذم من خالفها ولا يرون العمل بقولهم حتى كأنهم ملة أخرى سواهم يدأبون ويكدحون في الـرد عليهم ويقـولـون: كتبهم وكتبنـا وأئمتهم وأئمتنا ومـذهبهم ومـذهبنا[2]، هذا والنبي واحد والدين واحد

---

(١) مجموع الفتاوىٰ ٢٠/٨.

(٢) ومثل ذلك: «منهجهم ومنهجنا، وجماعتهم وجماعتنا وطريقتهم وطريقتنا».

والـرب واحد، فالواجب على الجميع أن ينقادوا إلى كلمة سواء بينهم كلهم وأن لا يطيعوا إلا الرسول ﷺ ولا يجعلوا معـه من يكـون أقواله كنصوصه ولا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله»[١].

## عاشراً: ظن السوء بالمسلم:

قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم**﴾ [الحجرات: ١٢].

قال العلامة الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله عند تفسيره لهـذه الآية: «وذلـك كالظن الخالي من الحقيقة والقرينة وكظن السوء الذي يقترن به كثير من الأقوال والأفعال المحرمة، فإن بقاء ظن السوء بالقلب لا يقتصر صاحبه على مجرد ذلك، بل لا يزال به حتى يقول مالا ينبغي ويفعل مالا ينبغي»[٢].

---

(١) أعلام الموقعين ٢/١٧٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٧/١٣٧.

وقد قال عليه الصلاة والسلام: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»[1] (أي: اجتنبوا ظن السوء بالمسلم فلا تتهموا أحداً بالفاحشة مالم يظهر عليه ما يقتضيها، والظن تهمة تقع في القلب بلا دليل)[2] ولا تكون الظنون السيئة إلا من القلوب التي لا تخلوا من السيئات فتطلب في غيرها العثرات كما قيل:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه
وصدَّق ما يعتاده من توهم
وعادىٰ محبيه بقول عدوه
وأصبح في ليل من الشك مظلم

ولذلك فإنه يجب على المسلم أن يكون ظنه بأخيه المسلم حسناً كما يحب هو أن يكون ظن إخوانه به حسناً.

---

(١) متفق عليه.

(٢) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ٤/٢٦٣.

وأما ما يروى عن النبي ﷺ أنه قال: «احترسوا من الناس بسوء الظن» فإنه حديث لا يصح[1].

**الحادي عشر: التنافس على الدنيا:**

حيث أن التنافس فيها والجري ورائها يورث الضغائن والأحقاد، قال النبي عليه الصلاة والسلام يوماً لأصحابه: «إذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم أنتم؟ قال عبدالرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله، قال رسول الله ﷺ: «أوَ غير ذلك، تتنافسون، ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون»[2]. قال ابن الجوزي رحمه الله: تأملت التحاسد بين العلماء، فرأيت منشأه من حب الدنيا، فإن علماء الآخرة يتوادون ولا يتحاسدون»[3].

ورحم الله الإمام الشافعي إذ يقول في الدنيا:

---

(١) انظر السلسلة الضعيفة ١٥٦.

(٢) رواه مسلم.

(٣) صيد الخاطر ٢١.

ومـــا هي إلا جيفـــة مستحيلة

عليهـا كلاب همهن اجتـذابها

فإن تجتنبها كنت سلماً لأهلها

وإن تجتذبها نازعتك كلابها[1]

**الثاني عشر: حب الرياسة:**

فهـو الـداء العضـال الذي بسببه أزهقت أرواح، وهـدمت ديار، وهتكت أعـراض، وخطورة هذا الداء تكمن في خفـائـه على النفـوس مع تمكنـه منها في الغالب، (قال شداد بن أوس رضي الله عنه: «يا بقايا العـرب: إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء، والشهوة الخفية» قيل لأبي داود ما الشهوة الخفية؟ قال: «حب الرياسة» قال شيخ الإسلام معلقاً: «فهي خفية تخفى عن الناس وكثيراً ما تخفى على صاحبها»[2].

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: «ما من أحد

---

(١) ديوان الإمام الشافعي ٢٨. (٢) مجموع الفتاوىٰ ٣٤٦/١٦.

أحب الرياسة إلا حسد وبغى وتتبع عيوب الناس، وكره أن يذكر أحد بخير»[1].

وقال أبو نعيم: «والله ما هلك من هلك إلا بحب الرياسة»[2].

وقال أبو العتاهية:

حب الرياسة أطغى من على الأرض
حتى بغى بعضهم فيها على بعض

وقال ابن عبد البر:

حب الرياسة داء يخلق الدنيا
ويجعل الحب حرباً للمحبينا
يفري الحلاقم والأرحام يقطعها
فلا مروءة يبقي لا ولا دينا
من ساد بالجهل أو قبل الرسوخ فلا
تراه إلا عدواً للمحقينا

---

(١) و (٢) جامع بيان العلم ٢٢٧.

يبغي ويحسـد قوماً وهو دونهم
ضاهى بذلـك أعـداء النبيينا[1]

وأما علامة محب الرياسة فيجليها لنا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمـه الله بقـولـه: (وطـالب الرياسة ـ ولو بالبـاطل ـ ترضيه الكلمة التي فيها تعظيمه وإن كانت باطـلًا وتغضبـه الكلمة التي فيها ذمه وإن كانت حقاً والمؤمن ترضيه كلمـة الحق له وعليه، وتغضبـه كلمة الباطل له وعليه، لأن الله تعالى يحب الحق والصدق والعدل ويبغض الكذب والظلم)[2].

**الثالث عشر: اختلاف الصفوف في الصلاة:**

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم»[3].

---

(١) جامع بيان العلم ٢٢٧.

(٢) مجموع الفتاوىٰ ١٠/٥٩٩. (٣) رواه مسلم.

قال النووي رحمه الله: والأظهر ـ والله أعلم ـ أن معناه: يوقع بينكم العداوة والبغضاء واختلاف القلوب كما يقال: تغير وجه فلان، أي: ظهر لي من وجهه كراهة لي وتغير قلبه علي، لأن مخالفتهم في الصفوف مخالفة في ظواهرهم واختلاف الظواهر سبب لاختلاف البواطن»[1].

**الرابع عشر: النجوى بين المؤمنين:**

إن رؤية المسلمين للوسوسة والهمس والانعزال بالحديث تبث في قلوبهم الحزن والتوجس، وتخلق جواً من عدم الثقة، والشيطان يغري المتناجين ليحزنوا نفوس إخوانهم ويدخلوا بها الوساوس والهموم»[2].

وما انتشرت النجوى في قوم إلا ساءت ظنون بعضهم ببعض مما يجرهم إلى التجسس لمعرفة ما

---

(١) شرح صحيح مسلم ٤/١٥٧.

(٢) في ظلال القرآن ٦/٣٥١٠.

يدور في الخفاء، ثم تقع الغيبة والنميمة وتمتلأ القلوب بالحقد والضغينة، ولذلك نهى الله عز وجل المؤمنين عن النجوى وأخبر أنها من عمل الشيطان الذي من كيده التحريش بين المؤمنين والنزغ بينهم. قال تعالى: ﴿إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا﴾ [المجادلة: ١٠]، وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن ذلك يحزنه»[1].

الخامس عشر: كثرة المزاح:

فقد كان مزاح النبي عليه الصلاة والسلام قليلاً، وكان لا يقول فيه إلا حقاً، فالمزاح كالملح في الطعام إذا كثر أو عدم فسد الطعام، وإذا وضع فيه بقدر معقول طيّبه.

قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: «إياكم

---

(١) متفق عليه.

والمزاح، فإنه يورث الضغينة ويجر إلى القبيح»[1] وقيل: «لكل شيء بذور وبذور العداوة المزاح»[1].

قال النيسابوري:

شر مزاح المرء لا يقال
وخيره يا صاح لا ينال
وقد يقال كثرة المزاح
من الفتى تدعو إلى التلاحي
إن المزاح بدؤه حلاوة
لكنما آخره عداوة
يحقد منه الرجل الشريف
ويجتري بسخفه السخيف[2]

**السادس عشر: المعصية:**

فما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة. قال

---

(١) الإحياء ٣/١٣٧.

(٢) المراح والمزاح للغزي ٩.

أحد السلف: «إني لأعصي الله فأرى ذلك في خُلُق دابتي وامرأتي» وقد قال تعالى: ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ [الأنعام: ٦٥]، وعن سعد بن أبي وقاص قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى مررنا على مسجد بني معاوية فدخل فصلى ركعتين فصلينا معه فناجى ربه طويلاً ثم قال: «سألت ربي ثلاثاً: سألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها» رواه مسلم، قال تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبةٍ فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ [الشورى: ٣٠].

السابع عشر: أهل النفاق:

الذين يندسون بين صفوف المؤمنين، لأنه يحزنهم ويقلقهم أن ترجع هذه الأمة إلى دينها الذي اختاره الله لها، فهم كما وصف الله أهل الكتاب: ﴿إن تمسسكم

**حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها﴾** الآية [آل عمران: ١٢٠]. . ولذلك فهم يستخدمون ما يقدرون عليه من الطرق التي يتحقق بها التفريق بين المؤمنين فيلبسون مسوح الضأن على قلوب الذئاب، ويظهرون التدين والنصح للأمة، وقد يطبعون الكتب ويوزعون الأشرطة مجاناً **﴿ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل، وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى، والله يشهد إنهم لكاذبون﴾** [التوبة: ١٠٧]. . وإذا كان هؤلاء الشرذمة لهم تأثيرهم حتى في مجتمع الصحابة رضي الله عنهم، فمن باب أولى أن يكون لهم تأثيرهم في المجتمعات التي تليه والتاريخ شاهد على ذلك.

إن أسلاف هؤلاء كانوا يصفون خلف النبي ﷺ في الصلاة ويؤمنون على دعائه، وكان بعضهم يقوم بعد خطبة النبي ﷺ فيقول: أيها الناس هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به فانصروه وعزروه

واسمعـوا له وأطيعـوا» كما كان يفعل عبدالله بن أبي المنافق، وكانوا أيضاً يجعلون لهم عيوناً على المؤمنين ليسمعـوا حديثهم ويبلغونه إليهم كما قال جلَّ وعلا: ﴿**وفيكم سمَّاعون لهم والله عليم بالظالمين**﴾ [التوبة: ٤٧]، إن هؤلاء من أعـظم أسباب التفرق ومن أشد الناس ضرراً على الإسلام وأهله ولذلك حذَّر الله منهم ومن مكـائـدهم وقـال عنهم: ﴿**هم العـدو فاحذرهم قاتلهم الله أنىٰ يؤفكون**﴾ [المنافقون: ٤].

## وسائل سلامة الصدر

إن سلامة الصدر مطلب عظيم كل صادق يتمناه ويود معرفة الطريق إليه، ولهذا فإني سأذكر بعض الوسائل المعينة على سلامة الصدر، إذ أن سلامة الصدر ليست أمراً مستحيلاً لا يمكن إدراكه ولكن باستطاعة العبد الوصول إليه مع بذل السبب الذي في مقدوره فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها. والوسائل التي أود ذكرها هنا هي:

### أولاً: الإخلاص:

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين.

فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»[1].

قال ابن القيم رحمه الله: «أي لا يبقى فيه غل، ولا يحمل الغل مع هذه الثلاثة، بل تنفي عنه غله وتنقيه منه وتخرجه عنه، فإن القلب يغل على الشرك أعظم غل، وكذلك يغل على الغش، وعلى خروجه عن جماعة المسلمين بالبدعة والضلالة، فهذه الثلاثة تملؤه غلاً ودغلاً ودواء هذا الغل، واستخراج أخلاطه: بتجريد الإخلاص والنصح، ومتابعة السنة»[2].

وقال ابن الأثير في معنى هذا الحديث: «إن هذه الخلال الثلاث تستصلح بها القلوب، فمن تمسك بها طهر قلبه من الخيانة والدغل والشر»[3].

ومن المعلوم أن من أخلص دينه لله عز وجل فلن

---

(١) رواه أحمد ١٨٣/٥، وصححه الألباني في المشكاة برقم ٢٢٩.

(٢) مدارج السالكين ٩٤/٢.

(٣) النهاية في غريب الحديث ٣٨١/٣.

يحمل في نفسه تجاه إخوانه المسلمين إلا المحبة الصادقة وعندها سيفرح إذا أصابتهم حسنة وسيحزن إذا أصابتهم مصيبة سواء كان ذلك في أمور الدنيا أو الآخرة.

**ثانياً: رضى العبد عن ربه وامتلاء قلبه به:**

قال ابن القيم رحمه الله في الرضى: أنه يفتح للعبد باب السلامة، فيجعل قلبه نقياً من الغش والدغل والغل، ولا ينجو من عذاب الله إلا من أتى الله بقلب سليم، كذلك وتستحيل سلامة القلب مع السخط وعدم الرضى، وكلما كان العبد أشد رضى كان قلبه أسلم، فالخبث والدغل والغش: قرين السخط، وسلامة القلب وبره ونصحه: قرين الرضى، وكذلك الحسد هو من ثمرات السخط، وسلامة القلب منه من ثمرات الرضى»[1]، ولذلك قيل: إن الحاسد عدو نعمة الله، لأن «الحسد في الحقيقة نوع من معاداة الله فالحاسد

(١) مدارج السالكين ٢/٢١٦.

يكره نعمة الله على عبده وقد أحبها الله، ويحب زوالها عنه والله يكره ذلك، فهو مضاد لله في قضائه وقدره ومحبته وكراهته»[1].

**ثالثاً: قراءة القرآن وتدبره:**

فهو دواء لكل داء والمحروم من لم يتداو بكتاب الله، قال تعالى: ﴿**قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء**﴾ [فصلت: ٤٤]، وقال: ﴿**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين**﴾ [الإسراء: ٨٢]. قال ابن القيم رحمه الله: «والصحيح أن (مِن) هاهنا لبيان الجنس لا للتبعيض، وقال تعالى: ﴿**يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور**﴾ [يونس: ٥٧].

فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية وأدواء الدنيا والآخرة» إلى أن قال: «وكيف

---

(١) الفوائد ٢٨٢.

تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء الذي لو نزل على الجبال، لصدعها أو على الأرض لقطعها، فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه، وسببه والحمية منه لمن رزقه الله فهماً في كتابه»[1].

والذي يتدبر كتاب الله يجد فيه مصير أهل البغي والحسد وعاقبة المتقين كما في قصة قابيل وهابيل، وقصة يوسف مع إخوته، وكذلك يجد صفات الدعاة الصادقين في دعوتهم والذين كانت قلوبهم سليمة من الغل والحسد كما في قصة صاحب يس الذي قال بعد أن قتله قومه: ﴿**يا ليت قومي يعلمون* بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين**﴾ [يس: ٢٦].

رابعاً: الصدقة:

فهي تطهر القلب وتزكي النفس، ولذلك قال الله

---

(١) زاد المعاد ٤/٣٥٢.

تعالى لنبيه ﷺ: ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**﴾ [التوبة: ١٠٣].

ثم إن النبي عليه الصلاة والسلام يقول: «داووا مرضاكم بالصدقة»[1]. وإن أحق المرضى بالمداواة مرضى القلوب، وأحق القلوب بذلك قلبك الذي بين جنبيك إذا أن كل نفس يوم القيامة ستجادل عن نفسها، قال الله تعالى: ﴿**يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون**﴾ [النحل: ١١١].

**خامساً: الدعـاء:**

فيدعو العبد ربه دائماً أن يجعل قلبه سليماً على إخوانه وأن يدعو لهم أيضاً، فهذا دأب الصالحين، قال تعالى: ﴿**والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا**

(١) حسنه الألباني، صحيح الجامع برقم ٣٣٥٨.

غلًا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ [الحشر: ١٠]، وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام «واسلل سخيمة قلبي»[1].

فعلى المسلم أن يقتدي بنبيه ﷺ بأن يدعو بهذا الدعاء في كل وقت خاصة في جوف الليل حين ينزل ربنا إلى السماء الدنيا ـ نزولًا لا يليق بجلاله وعظمته ـ فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له»[2].

## سادساً: صوم ثلاثة أيام من كل شهر:

وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «ألا أخبركم بما يذهب وَحَرَ الصدّر، صوم ثلاثة أيام من كل شهر»[3].

ووحر الصدر «هو الغل» والحكمة من ذلك ـ والله

---

(١) صحيح أبي داود ١٣٣٧.
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) صحيح النسائي رقم ٢٢٤٩.

أعلم ـ هي أن الإنسان صاحب قوتين: قوة غضبية، وقوة شهوانية ومن أنفع الأشياء لتسكين تلك القوتين: الصوم حيث أنه يضعف إرادة التشفي والانتقام، وصوم ثلاثة أيام من كل شهر، كافية لإذهاب ما يكون في القلب من الغضب والغل وهما من القوة الغضبية.

**سابعاً: النصيحة:**

وذلك بأن إذا رأيت على أحد إخوانك ما تكره فلا تجعل ذلك في قلبك، ولكن صارحه بما في نفسك إن أمكن أو ابعث إليه من تظن أنه يقبل منه، فقد يكون معذوراً في فعله. أما أن تبقى ذلك في قلبك، ثم إذا رأيت منه شيئاً آخر يذم عليه ذهبت فيه مذاهب ثم أسقطته من عينك فهذا من الخطأ الذي كثيراً ما نقع فيه. وقد مضى الحديث الذي يدل على أن النصيحة من أسباب سلامة القلب من الغل[1].

---

(١) صفحة ٨٨.

ولا حرج في النصيحة والرد على من وقع في خطأ، ولكن على الراد أن يحسن نيته وأن يكون قصده إظهار الحق لا غير «وأما مراد الراد بذلك إظهار عيب من رد عليه وتنقصه وتبيين جهله وقصوره في العلم ونحو ذلك كان محرماً سواء كان رده لذلك في وجه من رد عليه أو في غيبته وسواء كان في حياته أو بعد موته»[1].

قال الفضيل رحمه الله «المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعير»[2] لكن هناك أمر ينبغي التنبيه له وهو موقف الناصح إذا لم يقبل المنصوح النصيحة حيث أن الواقع اليوم هو التعدي والظلم لمن لم يقبل النصيحة وقد يكون المنصوح مجتهداً أو متأولاً فيما نصح فيه، قال ابن حزم رحمه الله: «وإن نصحت بشرط القبول منك فأنت ظالم»[3].

---

(١) الفرق بين النصيحة والتعيير ٣٥.

(٢) الفرق بين النصحية والتعيير ٣٩.

(٣) مداواة النفوس ١١٠.

وقال ابن القيم رحمه الله: «ومن الفروق بين الناصح والمؤنب أن الناصح لا يعاديك إذا لم تقبل نصيحته، وقال: قد وقع أجري على الله قبلتَ أو لم تقبلْ، ويدعو لك بظهر الغيب، ولا يذكر عيوبك ولا يبينها في الناس، والمؤنب بضد ذلك»[١].

**ثامناً: الهديـــة:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تهادوا تحابوا»[٢]، فالهدية تؤلف القلوب وتنقي سخائم الصدور وتذهب الغل وتغني عن كثير من الكلام والاعتذار وهي برهان على صفاء القلب ومودته.

قال ابن عبد البر رحمه الله: كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية وندب أمته إليها وفيه الأسوة الحسنة ﷺ ومن فضل الهدية مع اتباع السنة أنها تورث المودة وتذهب العداوة»[٣].

---

(١) الروح ٢٣٣.
(٢) حسنه الألباني، في الإرواء برقم ١٦٠١.
(٣) التمهيد ٢١/١٨.

«ولقد أحسن القائل:

هدايا الـنـــاس بعضهم لبعض
تولـــد في قلوبهـم الـــوصـــالا
وتـزرع في الضمير هوى ووداً
وتكســوهم إذا حضـروا جمـالا

**تاسعاً: إفشاء السلام**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنـوا حتى تحـابـوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[1].

قال ابن عبـدالبر رحمه الله: في هذا دليل على فضل السلام لما فيه من رفع التباغض وتوريث الود، ولقد أحسن القائل:

---

(١) رواه مسلم.

قد يمكث الناس دهراً ليس بينهم
ود فيزرعـــه الـتـسليم واللطف[1]

## عاشراً: إعذار الإخوان وحسن الظن بهم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: رأى عيسى بن مريم رجـلاً يسرق فقال له: أسرقت؟ قال: كلا والله الذي لا إله إلا هو، فقال: آمنت بالله وكذبت عيني»[2].

ومما يروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: «ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً وأنت تجد لها في الخير محملاً»[3].

وكـان الشـافعي رحمـه الله يقـول: «من أراد أن يقضي الله له بالخير فليحسن الظن بالناس»[4]، وقال

---

(١) التمهيد ١٢٨/٦.
(٢) رواه البخاري.
(٣) تفسير ابن كثير ٢١٢/٤. (٤) بستان العارفين ٣٢.

محمد بن سيرين: «إذا بلغك عن أخيك شيء فالتمس له عذراً، فإن لم تجد له عذراً فقل: لعل له عذراً»[1]، وقال ابن مازن: «المؤمن يطلب معاذير إخوانه، والمنافق يطلب عثراتهم»[2].

«وقد قيل: ينبغي أن تستنبط لزلة أخيك سبعين عذراً، فإن لم يقبله قلبك فرد اللوم على نفسك، فتقول لقلبك: ما أقساك! يعتذر إليك أخوك سبعين عذراً فلا تقبله، فأنت المعيب لا أخوك»[3]. وحينما تصل النفوس إلى هذه المنزلة فلن يبقى في قلوب أصحابها غل على أحد من المسلمين مبنيٌ على ظنٍ سيءٍ آثم.

## موقف المسلم من حاسديه وشانئيه والمتكلمين فيه

اعلم ـ علمني الله وإياك ـ أن الإنسان لا يخلو من عدو يكيد له ويتربص به خاصة إذا كان العبد وريثاً

---

(١) التوبيخ والتنبيه ١٢٨.

(٢) آداب العشرة ٩. (٣) الإحياء ٢/٢٠١.

لأنبياء الله تعالى، قال عز وجل: ﴿**وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون**﴾ [الأنعام: ١١٢]. وقال عليه الصلاة والسلام: «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل يبتلي الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلباً أشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة»(١).

قال ابن عبد البر رحمه الله: لقد رأينا البغي والحسد قديماً، ألا ترى إلى قول الكوفي في سعد بن أبي وقاص إنه لا يعدل في الرعية ولا يغزو في السرية ولا يقسم بالسوية، وسعد بدري وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة الذين جعل عمر بن الخطاب

---

(١) رواه الإمام أحمد والنسائي «صحيح الجامع رقم ٩٩٢.

الشورى فيهم وقال: توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ[1].

ليس يخلو المرء من ضد وإن
حاول العزلة في رأس جبل

وليس مصدر هذا الابتلاء للعبد محصور في أعداءه الكفار والمنافقين ونحوهم، بل إنه قد يكون أحياناً من أحد إخوانه المسلمين، فإذا كان الأمر كذلك وتكلم فيه أحد إخوانه وآذاه بكلامه فإنه «يتعين عليه أن ينظر في أمره ويرجع إلى حاله ويفتش خبايا نفسه في الذي قيل فيه، فقد يكون حقاً، فإن وجده في نفسه علم إذ ذاك أن من قال فيه ما قال إنما هو نذير جاءه من عند ربه ليتوب أو يوقع به النكال فيحتاج إلى المبادرة إلى التوبة والرجوع، ويرى الإحسان والفضل لمن قال فيه ما قال»[2]، أما إذا كان ما قيل فيه باطل

(١) جامع بيان العلم ٥١٨.
(٢) المدخل لابن الحاج ١٧٣/٣.

وبهتان افتراه حاسد ظالم، وأعانه عليه قوم آخرون، فعليه حينئذٍ أن يحذر أن يقع فيما يريده الشيطان من التحريش بين المؤمنين وليجتهد في البعد عن معصية الله تعالى في هذا المتكلم فقد «شتم رجل أبا ذر ـ رضي الله عنه ـ فقال له: يا هذا لا تغرقن في شتمنا ودع للصلح موضعاً، فإنا لا نكافىء من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه»(١).

وهناك عدة وصايا ينبغي أن يأخذ بها العبد إذا وقع فيه أحد بغير حق حتى يسلم له دينه ويعظم عند الله أجره، وهي ما يلي:

**أولاً: التوبـــة:**

«فيجـرد التوبة إلى الله من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه، فإن الله تعالى يقول: ﴿**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم**﴾ [الشورى: ٣٠] وقال لخير

---

(١) بهجة المجالس ١/٤١٨.

الخلق وهم أصحاب نبيه دونه ﷺ: ﴿**أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنىٰ هذا قل هو من عند أنفسكم**﴾ [آل عمران: ١٦٥].

فما سلط على العبد من يؤذيه إلا بذنب يعلمه أو لا يعلمه ومالا يعلمه العبد من ذنوبه أضعاف ما يعلمه منها وما ينساه مما علمه وعمله أضعاف ما يذكره»[١].

**ثانياً: تجريد التوحيد لله:**

«فالتوحيد حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين. قال بعض السلف: «من خاف الله خافه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء»[٢]، قال تعالى: ﴿**وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله**﴾ [هود: ١٠٧]، وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

---

(١) بدائع الفوائد ٢/٢٤٢.

(٢) بدائع الفوائد ٢/٢٤٥.

«واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء، قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف»[1].

**ثالثاً: التوكل على الله:**

«فمن يتوكل على الله فهو حسبه، والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد مالا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم»[2].

قال الله تعالى: **﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾** [الطلاق: ٣]، وقال سبحانه: **﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضلٍ لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم﴾**

(١) رواه أحمد والترمذي «صحيح الجامع» برقم ٧٩٥٧.

(٢) بدائع الفوائد ٢/٢٣٩.

[آل عمران: ١٧٣].

**رابعاً: الاستعاذة بالله تعالى:**

حيث أن الله أمر نبيه ﷺ بالتعوذ من شر الحاسد إذا حسد، وقال تعالى: ﴿**إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير**﴾ [غافر: ٥٦].

خامساً: «**الصبر على عدوه أن لا يقاتله ولا يشكوه ولا يحدث نفسه بأذاه أصلاً**»(١)

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «المصيب العادل عليه أن يصبر عن الفتنة ويصبر على جهل الجهول وظلمه، وإن كان غير متأول. وأما إن كان ذلك أيضاً متأولاً فخطؤه مغفور له، وهو فيما يصيب به من أذى بقوله أو فعله له أجر على اجتهاده، وخطؤه**

---

(١) بدائع الفوائد ٢/ ٢٣٩.

مغفور له، وذلك محنة وابتلاء في حق ذلك المظلوم، فإذا صبر على ذلك واتقى الله كانت العاقبة له كما قال تعالى: ﴿وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً﴾ [آل عمران: ١٢٠]. وقال تعالى: ﴿لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور﴾ [آل عمران: ١٨٦]. فأمر سبحانه بالصبر على أذى المشركين وأهل الكتاب مع التقوى وذلك تنبيه على الصبر على أذى المؤمنين بعضهم لبعض، متأولين كانوا أو غير متأولين»[1].

سادساً: العدل معه:

وفي ذلك يقول جل وعلا: ﴿ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله﴾ [المائدة: ٨].

---

(١) الاستقامة ١/٣٧.

«فنهى أن يحمل المؤمنين بغضهم للكفار على ألا يعدلوا عليهم، فكيف إذا كان البغض لفاسق أو مبتدع متأول من أهل الإيمان؟ فهو أولىٰ أن يجب عليه ألا يحمله ذلك على ألا يعدل على مؤمن، وإن كان ظالماً له»[1].

جاء رجل إلى أحمد بن حنبل فقال له: نكتب عن محمد بن منصور الطوسي؟ قال: إذا لم تكتب عن محمد بن منصور فعمن يكون ذلك ـ مراراً ـ؟ فقال: إنه يتكلم فيك، فقال أحمد: رجل صالح ابتلي فينا فما نعمل؟[2].

## سابعاً: رحمة المتكلم:

لأنه ما تكلم إلا لنقص في دينه وغفلة عن عيوب نفسه، عن إبراهيم التيمي قال: إن الرجل ليظلمني

---

(١) المصدر السابق ١/٣٨.

(٢) طبقات الحنابلة ١/١٩٥.

فأرحمه»[1]، وقال رجل لعمرو بن عبيد: إني لأرحمك مما تقول الناس فيك، قال: أفتسمعني أقول فيهم شيئاً؟ قال: لا، قال: إياهم فارحم»[2] والمسلم الحق أحق من عمرو بن عبيد بهذا حيث أن عمرو بن عبيد كان ممن يستحق أن يحذَّر منه، لأنه صاحب بدعة.

**ثامناً: الإحسان إليه:**

«فكلما ازداد أذى وشراً وبغياً وحسداً ازددت إليه إحساناً وله نصيحة وعليه شفقة»[3]، وفي ذلك يقول جلا وعلا: ﴿**ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم**﴾ [فصلت: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿**أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما**

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥/٦١.

(٢) عيون الأخبار ٢/٢٤. (٣) بدائع الفوائد ٢/٢٤٣.

**صبروا ويدرؤون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون﴾** [القصص: ٥٤]، فتكون حال العبد كحال المقنع الكندي مع من يسيء إليه من بني قومه حيث يقول:

وإن الذي بيني وبين بني أبي
وبين بني عمي لمختلف جدا
فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم
وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
وإن ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم
وإن هم هووا غيبي هويت لهم رشدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم
وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا[1]

---

(١) المقنع الكندي: من شعراء العصر الأموي تجد ترجمته وأبياته هذه في كتاب تاريخ الأدب العربي لمؤلفه عمر فروخ ١/٤٢١.

## والعاقبة للتقوى

إن مما يعزى به من أوذي في سبيل دعوته أن يعلم بأن هذا طريق أنبياء الله ورسله، وأن ما أصابه ليس بالأمر الغريب، وليعلم أنه كما للأنبياء ورثة فإن هناك أيضاً ورثة للبغاة والحسده ووريث النبي ﷺ حقاً له نصيب من قوله تعالى: ﴿**ورفعنا لك ذكرك**﴾ [الشرح: ٤].

وله نصيب من قوله تعالى: ﴿**إن شانئك هو الأبتر**﴾ [الكوثر: ٣] فيرث هو رفع الذكر، ويرث شانئه قطعه، والتاريخ خير شاهد على ذلك، فقد رفع الله ذكر الإمام أحمد رحمه الله، وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إلى يومنا هذا، بينما قطع الله ذكر خصومهم وحاسديهم، فإذا ذكروا فإنهم لا يذكرون غالباً إلا بموقفهم من هؤلاء الأعلام وبعداوتهم لهم وتجنيهم عليهم. وملئت كتب الإمامين الآفاق، وانتفع

بهـا الصغير والكبير مصـداقاً لقول الحق جل وعلا: ﴿**فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض**﴾ [الرعد: ١٧]. وقوله تعالى: ﴿**فاصبر إن العـاقبـة للمتقين**﴾ [هـود: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿**إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين**﴾ [الأعراف: ١٢٨].

هذا في الدنيا، أما في الآخرة فقد قال جل وعلا: ﴿**تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين**﴾ [القصص: ٨٣].

فاحرص أخي أن تكون من هؤلاء المتقين وأحبهم من كل قلبك واحذر أن تكون ممن يعاديهم ويبغضهم وإن لم تكن منهم، قال الشافعي رحمه الله:

أحب الصــالحين ولست منهم
لعلّي أن أنــال بهم شفـاعـة
وأكـره من تجـارتـه المعـاصي
وإن كنــا سواء في البضـاعـة

# خاتمة

وبعد أخي القارىء لعلك تدرك ما للاجتماع والألفة من الفضل والثواب وما للتفرق والتشتت من الضرر والعقاب، ولكن عليك أيها الأخ أن تعلم أن الإدراك المجرد عن العمل لا يكفي، بل قد يزيد الأمر سوءاً، ولذلك فإني أقول أنك قد تجد من الناس ممن هم من أسباب الفرقة من لا يخفى عليهم مثل هذه النصوص، بل الذي عندهم أكثر، ولكنهم ضعفوا مع أنفسهم والهوى أو غيرها من الأسباب، ولذلك على الجميع أن يعملوا بأمر الله تعالى حين يقول: ﴿**فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين**﴾ [الأنفال: ١]، فإن الأمة الآن في زمن ضعف تمالئت فيه دول الكفر ورمت المسلمين عن قوس

واحده. فالأمة ليست بحاجة إلى إهدار الجهود وإشغال الطاقات في أمور لا تنفع، وإنما على الدعاة إلى الله أن يكونوا يداً واحدة ضد هذه الأخطار وأن يكمل بعضهم بعضاً كل حسب وسعه وطاقته، فليس عيباً أن يتميز بعضهم على بعض في خدمة هذا الدين، ولكن العيب، بل الحرام أن يكونوا شيعاً وأحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون، وكل قد وجه سلاحه إلى أخيه.

ونحن نعلم أن أئمة الهدى كان بعضهم يستفيد من بعض ويثني بعضهم على بعض حتى ولو كانوا متعاصرين في زمن واحد، فابن كثير لم يضره أن عاصر المزي، والمزي لم يضره أن عاصر ابن مفلح، وابن مفلح لم يضره أن عاصر ابن رجب، بل استفاد بعضهم من بعض، وكان كل منهم على ثغر وكانوا يداً واحدة على أهل البدعة والضلالة والكفر، رحمة الله عليهم أجمعين، وهكذا فلنكن فإن الأمر كما قال الشاعر:

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً
وإذا افتــرقن تكســرت آحـادا

والله المسؤول أن يجمع شتات هذه الأمة وأن يرد كيد أعدائها في نحورهم، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم.

والحمـد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

# الفهرس

أشرف على الطباعة دار أولي النهى ببيروت